الفصل الرابع

قصص الأنبياء

١- الحكمة من قصص الأنبياء .

٢- أغراض القصة في القرآن .

٣- السر في تكرار القصص في القرآن .

٤- نموذج من تكرار القصة في القرآن .

قصص الأنبياء والمرسلين

تاريخ الأنبياء تاريخ العظمة والجلال، وحياتهم حياة الكفاح والنضال، وما يستطيع البشر ــ مهما أُوتوا من قوة ــ أن يدركوا شأنهم، أو يصلوا إلى ما وصلوا إليه من سموٍّ في النفس، وكمال في الخُلُق، وزهدٍ في الدنيا، وتضحية في سبيل الله، من أجل إعلاء كلمة الله، وتبليغ دعوته، ونشر رسالة الحق ــ رسالة الهدى والخير والدين ــ إنَّ تاريخهم سلسلة من حياة طويلة مريرة، وكفاح دائم مستمر، ضدّ أعداء الحق وأعداء الله، وأعداء الإنسانية، في كل زمانٍ وحين!.

إنه تاريخ مشرّف، مليء بأنواع البطولات، وألوان الصبر والشجاعة الفذّة التي قلّ أن نجد مثلها في تاريخ زعيم أو عظيم، أو قائد أو مصلح، لأنهم صُنِعُوا على عين الله، فقد كانت حياتهم مليئة بالجهاد ضد الباطل، والصمود وراء الحق، والصبر عند الشدائد، وتحمل الأذى في سبيل الله، فقد منحهم الله تبارك وتعالى من العزائم والهمم، ما يعجز عنه الأقوياء من الرجال، ولا تتحمله الراسيات من الجبال، فكانوا ــ بحقٍ ــ مفخرة الأزمان، وأهلاً لقيادة الأمم والشعوب. لقد ضلت البشرية طريق الخير والسعادة، وخيّم عليها ظلام الجهل والشقاوة، فتداركها الله العلي القدير ببعثة الرسل الكرام وفي ذلك يقول تقدّست أسماؤه:

﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾[1]!!

* * *

(١) سورة النساء: الآية (١٦٥).

الحكمة من قصص الأنبياء

ـ ١ ـ

ليست الغاية من ذكر قصص الأنبياء إلا أن يتخذ الدعاة والمصلحون من سيرتهم العطرة نبراساً يستضيئون بضيائه، ويهتدون بهديه، وأن يسيروا على نهجهم فيجعلوهم قدوتهم في جميع التصرفات والأعمال، وأن يكون أمامهم (المثل الأعلى) من حياة هؤلاء الرسل الكرام، عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام. وليس الغرض من ذكر القصص في القرآن «التسلية» أو «الترفيه» عن النفس. وإنما الغرض «العظة» و «العبرة» وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة:

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[1] الآية.

كما أشارت الآية إلى ضرورة الاستفادة من قصص القرآن، بالتفكر والتدبر، والسير على منهاج الأنبياء والمرسلين: ﴿فاقصص القَصَصَ لعلهم يتفكرون﴾. وخاصة بالنسبة إلى مقام الدعاة فإن الغرض من ذكر قصص الأنبياء لهم تثبيتهم على الدعوة، وتقوية عزائمهم، بإطلاعهم على سيرة الأنبياء الأطهار وما تحملوه من أذى في سبيل الله، كما قال تعالى لسيد الخلق محمد ﷺ:

﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[2].

---

(١) سورة يوسف: الآية (١١١).

(٢) سورة هود: الآية (١٢٠).

أغراض القصة في القرآن

ـ ٢ ـ

للقرآن الكريم في ذكر القصة أغراض عديدة وجليلة نوجزها فيما يلي:

أولاً: إثبات الوحي والرسالة.

ثانياً: الإشارة إلى وحدة الأديان السماوية.

ثالثاً: بيان الغرض من دعوة الرسل.

رابعاً: موقف الأمم من الأنبياء الكرام.

خامساً: الترابط الوثيق بين الشرائع والأديان.

سادساً: النصر للرسل والهلاك للمكذبين.

سابعاً: بيان قدرة الله تعالى على الخوارق.

ثامناً: عاقبة الخير والصلاح وعاقبة الشر والفساد.

هذه أهم أغراض (القصة في القرآن) وهناك أغراض أخرى غير هذه الأغراض لا يمكن استقصاؤها.. ويجدر بنا هنا أن ننقل طرفاً مما كتبه شهيد الإسلام (سيد قطب) في كتابه: التصوير الفني في القرآن، حيث قال رحمه الله تحت عنوان (القصة في القرآن): (سيقت القصة في القرآن، لتحقيق أغراض دينية بحتة، وقد تناولت هذه الأغراض عدداً وفيراً، يصعب استقصاؤه لأنه يكاد يتسرب إلى جميع الأغراض القرآنية.. فإثبات الوحي، وإثبات وحدانية الله، وتوحد الأديان في أساسها، ومظاهر القدرة الإلهية، وعاقبة الخير والشر، والصبر والجزع، والشكر

والبطر، وكثير غيرها من الأغراض الدينية، والمرامي الخلُقية، قد تناولته القصة وكانت أداة إليه، فإذا نحن استعرضنا أغراض القصة القرآنية فإنما نثبت أهمّ هذه الأغراض وأوضحها ونترك استقصاءها وتتبعها[1].

ولنبدأ بتفصيل ما أجملناه من أغراض القصة في القرآن:

أولاً ـ إثبات الوحي والرسالة:

لقد كان من أغراض القصة في القرآن (إثبات الوحي والرسالة) أي إن هذا الدين الذي جاء به الرسل الكرام إنما هو بوحي من الله تبارك وتعالى، وإنهم أنبياء مرسلون من عند الله العزيز الحكيم، وخاصة بالنسبة إلى أمر محمد ﷺ فقد بيّن القرآن الكريم أن هذا القصص إنما هو بوحي الله، فمحمد ﷺ أمي لا يكتب ولا يقرأ:

﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾[2].

ولم ينقل عن الرسول، أنه كان يجلس إلى أحبار اليهود، أو رهبان النصارى، فحين جاء بهذا القصص الرائع، عن الأنبياء قبله، وعن الأمم والخلائق، وما وقع لهم وما حل بهم، وبعض القصص جاء في دقة وإسهاب، كقصص إبراهيم، ويوسف، وموسى، وعيسى ـ فمجيء القصص بهذه الدقة المتناهية، وورودها في القرآن بهذا البيان المحكم، أعظم دليل على أنه وحيٌ يوحى من عند الحكيم الخبير، وقد أشارت كثير من الآيات القرآنية إلى هذا الغرض، إشارةً واضحة جلية، في مقدمات بعض القصص أو في ذيولها، مثل قوله تعالى:

---

(١) التصوير الفني في القرآن لسيد قطب.

(٢) سورة العنكبوت: الآية (٤٨).

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾(١).

وقوله تعالى:

﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾(٢).

ثانياً ـ الإشارة إلى وحدة الأديان السماوية:

ومن أغراض القصة بيان أن الدين كله من عند الله، من عهد نوح عليه السلام، إلى عهد محمد ﷺ.. وأن المؤمنين كلهم أمة واحدة، والله الواحد الأحد هو رب الجميع.. فكثيراً ما وردت قصص الأنبياء مجتمعة في سورة واحدة، معروضة بطريقة خاصة لتؤيد هذه الحقيقة الواضحة، نضرب لذلك مثلاً ما جاء في سورة الأنبياء في قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾(٣).

وقوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾(٤).

وقوله تعالى:

﴿وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَائِثَ﴾(٥).

---

(١) سورة يوسف: الآية (٣).
(٢) سورة هود: الآية (٤٩).
(٣) سورة الأنبياء: الآيتان (٤٨ ـ ٤٩).
(٤) سورة الأنبياء: الآية (٥١).
(٥) سورة الأنبياء: الآية (٧٤).

ثم بعد ذكر الأنبياء (نوح، وأيوب، وإسماعيل، وإدريس، وزكريا) وبعد ذكر رسالتهم ودعوتهم تأتي تلك الحقيقة الناصعة التي أكدّها القرآن الكريم ألا وهي وحدة الإله، ووحدة الأمة فيقول جل ثناؤه:

﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾[1].

وذلك هو الغرض الأصيل من الاستعراض الطويل.

ثالثاً ــ بيان الغرض من دعوة الرسل:

وكان من أغراض القصة كذلك، بيان أن الدين كله واحد الهدف والأساس وتبعاً لهذا كان الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، يركّزون على هدف واحد، وغاية واحدة، ألا وهي الاعتقاد (بوحدانية الله) وكانت ترد قصص كثير من الأنبياء مجتمعة كذلك مكررة فيها العقيدة الأساسية (الإيمان بالله الواحد) الذي هو الغرض الأساسي من دعوة الرسل على نحو ما جاء في سورة الأعراف في قوله تعالى:

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ . . ﴾[2].

﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ . . . ﴾[3] الآية.

﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ . . . ﴾[4] الآية.

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ . . . ﴾[5] الآية.

---

(١) سورة الأنبياء: الآية (٩٢).
(٢) سورة الأعراف: الآية (٥٩).
(٣) سورة الأعراف: الآية (٦٥).
(٤) سورة الأعراف: الآية (٧٣).
(٥) سورة الأعراف: الآية (٨٥).

فهذا التوحيد لأصول العقيدة يشترك فيه جميع الأنبياء في جميع الأديان، وترد قصصهم مجتمعة في هذا السياق لتأكيد ذلك الغرض الخاص.

رابعاً ــ موقف الأمم من الأنبياء الكرام:

ومن الأغراض أيضاً في قصص القرآن الإشارة إلى موقف الأمم من الأنبياء الكرام فقد كان موقفاً متشابهاً.. فما من نبي دعا قومه إلى الله إلا وقف في وجهه المجرمون موقف العناد والاستكبار، وموقف التكذيب والجحود كما قال تعالى:

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾[1].

فقد اتحدت في قصص الأنبياء صيغة الدعوة كما اتحدت من أقوامهم صيغة التكذيب.. استمع إلى قوله تعالى في قصة نوح عليه السلام:

﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[2].

وفي قصة (هود) عليه السلام يحكي القرآن لنا موقف قومه:

﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ۗ . . .﴾[3] الآية.

وفي قصة (صالح) مع قومه (ثمود) يقول القرآن حكاية عن قومه:

﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَا ۖ أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾[4].

---

(١) سورة الفرقان: الآية (٣١).
(٢) سورة هود: الآية (٣٢).
(٣) سورة هود: الآيتان (٥٣ ــ ٥٤).
(٤) سورة هود: الآية (٦٢).

وهكذا بقية الأنبياء الكرام، نجدُ أن موقف أقوامهم لا يختلف عن موقف الأمم السابقين، في الجحود والتكذيب، والاستهزاء بدعوة الرسل الكرام، وصدق الله حيث يقول:

﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾[1]

خامساً ـ الترابط الوثيق بين الشرائع والأديان:

ومن الأغراض في القصة القرآنية بيان الترابط الوثيق بين الأديان السماوية فليس بينها تعارض أو تصادم، بل إنها جميعاً تستقي من نبع واحد، وكل نبي إنما يأتي برسالة متممّة ومكمّلة لرسالة النبي الذي سبقه، ويدعو إلى الإيمان برسالته، والاعتقاد بصدق ما جاء به من عند الله تعالى، ذلك لأنّ مصدر التشريع واحد هو (الله رب العالمين) فليس هناك ما يدعو إلى النزاع والخصام كما قال تعالى:

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ...﴾[2] الآية.

ثم الترابط بوجه خاص بين دين أبي الأنبياء (إبراهيم) ودين خاتم الرسل (محمد) وكذلك بين دين محمد، وأديان بني إسرائيل... استمع إلى قوله تعالى:

﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾[3].

وإلى قوله تعالى:

﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا...﴾[4] الآية.

---

(١) سورة الذاريات: الآية (٥٢).
(٢) سورة الشورى: الآية (١٣).
(٣) سورة الأعلى: الآيتان (١٨ ـ ١٩).
(٤) سورة الحج: الآية (٧٨).

وتمعَّنْ إلى الترابط التام، بين إبراهيم ومحمد عليهما السلام.

﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

وقد أخذ الباري جل وعلا العهد والميثاق على جميع الأنبياء أن يؤمنوا بمحمد ﷺ ويتبعوه ويكونوا من أنصاره، إن أدركوا عهده وحياته، وهذا يدلّ على الترابط بين جميع الأديان السماوية، قال تعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾[3].

سادساً ـ النصر للرسل والهلاك للمكذبين:

ومن أغراض القصة أيضاً بيان أن النصر في النهاية للرسل الكرام، وأن الهلاك والدمار للأمم المكذبين، وفي ذلك تقوية للأنبياء، وتطييب لخاطرهم، حيث يقرّ الله أعينهم في الدنيا بإهلاك أقوامهم المكذبين، وبانتصار مبدئهم واعتزاز دعوتهم، وتغلّبهم على أعداء الدين.

سابعاً ـ بيان قدرة الله تعالى على الخوارق:

ومن أغراض القصة في القرآن الكريم (بيان قدرة الله على الخوارق) فقد ذكرت قصة خلق آدم عليه السلام، وقصة ولادة عيسى بن مريم، وذلك للدلالة على قدرة الله الباهرة التي تقول للشيء كن فيكون.. فآدم عليه السلام ولد بدون أب وبدون أم، وعيسى عليه السلام ولد من أم دون أب، وحواء ولدت من ضلع آدم،

---

(١) سورة آل عمران: الآية (٦٨).

(٢) الإصر: العهد الموثق المؤكد بالقسم ونحوه، فهو أبلغ وآكد من العهد.

(٣) سورة آل عمران: الآية (٨١).

وكل ذلك دليل القدرة الباهرة على الخوارق العجيبة، استمع إلى قوله تعالى في شأن عيسى بن مريم عليه السلام:

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[1].

وكذلك قصة (إبراهيم عليه السلام) والطير الذي ذبحه ثم عادت له الحياة، وقصة الذي مرّ على قرية وهي خاوية على عروشها وقد أماته الله مئة عام ثم أحياه، كل هذه القصص وأمثالها مما يدل على قدرة الله تعالى العجيبة في خرق العادات، وإظهار الخوارق العجيبة في هذا الكون البديع.

ثامناً ــ عاقبة الخير والصلاح، وعاقبة الشر والفساد:

ومن أغراض القصة في القرآن الكريم (بيان عاقبة الخير، وعاقبة الشر) كقصة ابنَيْ آدم (قابيل وهابيل) المذكورة في سورة المائدة في قوله تعالى: ﴿ واتلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بالحَقّ إذْ قَرّبَا قُرْباناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدهما ولَمْ يُتَقَبّل مِنَ الآخرِ، قالَ: لأَقْتُلَنّكَ، قالَ: إنما يَتَقَبّلُ اللّهُ مِنَ المتّقِينَ ﴾.

وكيف اعتدى (قابيل) على أخيه فأقدم على قتله، إلى آخر ما في القصة من مغزى دقيق حول العدل الإلهي المطلق. ومثل قصة سدّ مأرب، وقصة صاحب الجنتين، وقصة أصحاب الأخدود، وقصة أهل القرية الآمنة التي كفرت بأنعم الله، وكل هذه القصص وردت لبيان عاقبة الخير، وعاقبة الشر.. إلى آخر هذه الأغراض الوعظية التي كانت تساق لها القصص بأروع أسلوب لتؤدي غايتها، وتفي بمغزاها[2]. استمع إلى قوله تعالى:

﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾[3].

---

(١) سورة آل عمران: الآية (٥٩).

(٢) التصوير الفني في القرآن لسيد قطب.

(٣) سورة غافر: الآيتان (٥١ ــ ٥٢).

وتدبر ذلك الجزاء العادل، الذي أخذ الله به القوم المجرمين:

﴿وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[1].

* * *

(١) سورة العنكبوت: الآيتان (٣٩ ــ ٤٠).

السر في تكرار القصص في القرآن

ـ ٣ ـ

قصَّ اللَّهُ علينا من قصص الأنبياء والمرسلين ما فيه عظة وذكرى، وأرشدنا إلى مواطن العظة والعبرة في حياة كل رسول، لنقتدي بهم في سيرتهم العطرة، وأخلاقهم الطاهرة، وليكونوا مصابيح تضيء للناس طرق السعادة والفلاح:

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾[1].

وقد ذكرت قصص الأنبياء في سور عديدة، فجاءت مكرّرة ـ حسب الظاهر ـ ولكنّ هذا التكرار له حكمته البليغة، وإشارته الدقيقة، فإنه يدل على (إعجاز القرآن الكريم) وعلى أنه حقاً كتاب منزل من عند الله.. فإنّ أبلغ البلغاء وأفصح الفصحاء يستحيل عليه إذا كتب قصة مرة واحدة، أن يكتبها مرة أخرى بألفاظ غير الأولى مع المحافظة على متانة الأسلوب، وفصاحة الألفاظ، وبلاغة التعبير، ولا بدّ أن يُرى الفرق بين الأسلوبين واضحاً كل الوضوح.. أما القرآن الكريم فقد تفنّن في سَرْد القصص بنفس تلك الفصاحة والبيان، والروعة والإتقان، فجاءت القصة فيه مكرَّرة معبِّرة عن معنى واحد، ولكنْ بألفاظ أخرى وعبارات مختلفة، فسبحان القادر على كل شيء، الذي أنزل كتابه المعجز تبياناً لكل شيء، وهدى ورحمة لقوم يؤمنون.

---

(١) سورة يوسف: الآية (١١١).

نموذج من تكرار القصة في القرآن

ـ ٤ ـ

ولنأخذ نموذجاً على تكرار القصة في القرآن الكريم (بمعنى واحد) و (أسلوب مختلف) مع بقاء الروعة في التعبير، ومتانة الأسلوب وذلك في قصة «آدم» عليه السلام فقد ذكرت قصته في مواطن شتى، وبأساليب متنوعة، نختار منها موضعين فقط لنرى الأسلوب الرائع في كلٍ من السورتين الكريمتين:

أولاً ـ قال الله تعالى في سورة «الأعراف»:

﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[1].

ثانياً ـ وقال تعالى في سورة «طه»:

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ

(١) سورة الأعراف: الآيات (١٩ ـ ٢٣).

إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾[1].

وعلى هذا النموذج من الروعة والإتقان ذكرت قصص الأنبياء وحوادث الأمم مكررة في القرآن لتدل على قدرة الإله العليّ الحكيم.

• • •

(١) سورة طه: الآيات (١١٦ ــ ١٢٢).